"حزب الله" في كولومبيا

طريقة عمله في الماضي والحاضر والحاجة إلى تدقيق أكبر

أورورا أورتيغا[a]

يُعد "حزب الله" منظمة متعددة الأوجه ويتمّ توثيق وجوده ونطاق أنشطته الواسع في أمريكا اللاتينية بشكل جيد. وفي حين كانت فنزويلا و"منطقة الحدود الثلاثية"، التي تضمّ الأرجنتين وباراغواي والبرازيل، النقطة المحورية الرئيسية للأبحاث حول عمليات الجماعة الإرهابية في أمريكا اللاتينية، إلّا أن الأحداث الأخيرة تُظهر أن أنشطة "حزب الله" في البلدان الأقل شهرة تتطلب تدقيقاً متزايداً من أجل تحديد عملياته وفهمها وتعطيلها بشكل استباقي في النصف الغربي من الكرة الأرضية.

وفي حين لم ينجح "حزب الله" في تنفيذ أي هجوم إرهابي دولي منذ عام 2012، حين فجّر عملاؤه حافلة في بورغاس، بلغاريا، إلّا أن تعطيل عملياته في أمريكا اللاتينية خلال السنوات العديدة الماضية يشير إلى أن أنه من المرجح على نحو أكبر أن يشن الحزب هجمات في دولة لا وجود علني له فيها وحيث لا يُعتبر أنه يطرح عادةً تهديداً كبيراً في تلك البلاد. على سبيل المثال، في عام 2014، ألقت الشرطة البيروفية القبض على أحد عناصر "حزب الله" في منطقة سوركيو في ليما بتهمة التخطيط لعملية إرهابية، وفي عام 2017 حدّدت السلطات البوليفية مخزناً تابعاً للحزب وصادرت ما يكفي من مواد متفجرة لإنتاج قنبلة تزن طنين ونصف الطن وكذلك عبوة ناسفة مرتجلة محمولة على سيارة مفخخة. وفي الآونة الأخيرة، في خريف عام 2021، كشفت صحيفة "إل تيمبو" الكولومبية أن "حزب الله" كان يخطط لاغتيال مواطن إسرائيلي في البلاد في إطار عملية أوسع نطاقاً استهدفت أمريكيين أيضاً، والتي وفقاً لبعض التقارير كانت تهدف إلى الانتقام على مقتل قاسم

[a] أورورا أورتيغا هي موظفة في الحكومة الأمريكية. إن وجهات النظر المذكورة هنا تعبّر عن رأيها فقط ولا تعكس بالضرورة رأي الحكومة الأمريكية أو أي وزارة أو وكالة تابعة لها.

سليماني قائد "فيلق القدس" التابع لـ "الحرس الثوري الإسلامي" الإيراني في كانون الثاني/يناير 2020. وقبل هذا التعطيل، لم يكن معروفاً بصورة علنية إلّا القليل عن نطاق الأنشطة العملياتية للحزب في تلك البلدان.

"حركة الجهاد الإسلامي" التابعة لـ "حزب الله"

أنشأ "حزب الله" بنية تحتية موسعة على مستوى العالم تمكّنه من تعزيز استعداده للتخطيط لهجمات وتنفيذها في بلدان مختلفة. وغالباً ما يمكن لمدى تعقيد تنظيم الحزب وشبكاته، إلى جانب طبيعته السرية واستخدامه لغطاء تجاري، أن يؤدي إلى التعتيم على أنشطته العملياتية والطريقة التي يستفيد بها من علاقاته مع أفراد من خارج الحزب. على سبيل المثال، ذكر تقرير نشرته صحيفة "إسرائيل هيوم" أن "فيلق القدس" وليس "حزب الله" كان وراء مخطط اغتيال واستهداف أمريكيين وإسرائيليين في كولومبيا؛ ومع ذلك، لا يجب أن تقع المسؤولية على عاتق منظمة واحدة فقط. فبعد مقتل قاسم سليماني، أقسم كل من "حزب الله" وإيران على الانتقام ووجها تهديداتهما تجاه الولايات المتحدة وإسرائيل.

يُذكر أن التحالف الإيديولوجي الذي يتشاركه "حزب الله" مع إيران كان وراء العديد من الأنشطة الإرهابية للحزب في الخارج. فتاريخياً، نفذت "منظمة الجهاد الإسلامي" التابعة للحزب، وهي الجهاز المسؤول عن التخطيط للهجمات الإرهابية وإعدادها وتنفيذها خارج لبنان، عمليات فتاكة بناء على أوامر من إيران؛ وبالمثل لعبت إيران دوراً محورياً في تمكين العمليات الفتاكة لـ "حزب الله". ومن بين الأمثلة على ذلك هو الهجوم الذي وقع عام 1994 واستهدف المركز الثقافي "الجمعية التعاضدية اليهودية الأرجنتينية" ("آميا") في بوينس آيرس، والذي لا يزال حتى يومنا هذا الهجوم الإرهابي الأكثر دموية على الإطلاق في أمريكا اللاتينية. كما تُظهر العملية أن "حزب الله" وإيران تعاونا سابقاً بشكل وثيق لتنفيذ هجوم في أمريكا اللاتينية. وكان محسن رباني، وهو مواطن إيراني كان آنذاك الملحق الثقافي في السفارة الإيرانية في الأرجنتين، أحد أبرز الميسرين لتفجير "آميا". ومن القواعد الراسخة أن لدى "فيلق القدس" عملاء في السفارات والجمعيات الخيرية والمؤسسات الدينية والثقافية الأجنبية في جميع أنحاء أمريكا اللاتينية من أجل تحقيق أهدافه، وقد مكّنت الحصانة الدبلوماسية رباني على وجه التحديد - إلى جانب "حزب الله" ومسؤولين إيرانيين آخرين - من التخطيط للهجوم والإعداد له وتنفيذه.

وكان أحد أبرز الشخصيات وراء تفجير "آميا" هو العميل في "الجهاد الإسلامي" للحزب سلمان رؤوف سلمان. ووفقاً لتقرير صادر عن "المجلس الأطلسي"، برز عميل آخر في "الجهاد الإسلامي" مشتبه بتورطه في الهجوم وهو عامر محمد عقيل رادا الذي يُعتقد أنه وفر المتفجرات المستخدمة في الهجوم، والتي أدت إلى تفجير عبوة ناسفة مرتجلة محمولة على سيارة مفخخة تحمل 300 كليوغرام من نترات الأمونيوم. ووفقاً لبعض التقارير تعاون سلمان عن كثب مع عامر طوال تسعينيات القرن الماضي للإعداد لهجمات متعددة لصالح "منظمة الجهاد الإسلامي" التابعة لـ "حزب الله" في الأرجنتين والبرازيل وكولومبيا وفنزويلا. وتشتبه السلطات الأرجنتينية بتورط عامر أيضاً في تفجير السفارة الإسرائيلية في بوينس آيرس عام 1992. ووفقاً لتقرير نشرته صحيفة "كلارين" الأرجنتينية، دخل عامر الأرجنتين في عام 1992، قبل الهجوم على السفارة.

وبعد الهجوم على "آميا"، فرّ سلمان من المنطقة ولكنه عاد في النهاية بعد سنوات قليلة. ووفقاً لوزارة الخزانة الأمريكية، ارتقى سلمان إلى منصب قيادي ضمن "منظمة الجهاد الإسلامي" وأصبح مسؤولاً عن توجيه ودعم الأنشطة الإرهابية لـ "حزب الله" في نصف الكرة الغربي. وفي عام 1997، شارك في موجة من المهمات العملياتية وقام بثلاث زيارات إلى بنما، وبزيارتين إلى كولومبيا، وزيارة واحدة إلى البرازيل. وكان أيضاً المسؤول عن العميل في "الجهاد الإسلامي" محمد همدر (المعروف أيضاً باسم محمد أمدار)، الذي اعتقلته سلطات إنفاذ القانون في عام 2014 بتهمة التخطيط لعملية إرهابية في البلاد.

طريقة العمل تشير إلى استخدام الجنسية الكولومبية

بينما تُعتبر "منظمة الجهاد الإسلامي" التابعة لـ "حزب الله"، المعروفة باسم "منظمة الأمن الخارجي" أو "الوحدة 910"، من بين أكثر الوحدات تطوراً وتحايلاً في الحزب، إلا أنها لا تخلو من نقاط ضعف. وفي هذا السياق، يكشف تدقيق عن كثب في أنشطة عملاء "الجهاد الإسلامي" في أمريكا اللاتينية في الفترة التي سبقت الهجوم على "آميا" أن دخولهم إلى كولومبيا ربما كان أساسياً في تمكين شنّ عملياتهم. فضلاً عن ذلك، يكشف تدقيق في طريقة عمل "منظمة الجهاد الإسلامي" تاريخياً إلى جانب الأنشطة الحالية لعملائها عن أنماط يمكنها أن تساعد على كشف شبكات "حزب الله" وتعزّز فهم نواياه وعملياته في المنطقة. على سبيل المثال، لدى الحزب تاريخ طويل في إصدار مستندات مزوّرة وكذلك الحصول على جوازات سفر شرعية لإدراجها في وثائق زائفة لصالح عملائه. وقد رُصدت هذه الممارسة بوضوح في أوساط العملاء في أمريكا اللاتينية، ولا سيما في كولومبيا.

وعلى وجه التحديد ، كان عميل "الجهاد الإسلامي" سلمان رؤوف سلمان يعمل في أمريكا اللاتينية بهوية مزوّرة لمواطن كولومبي باسم ساموبل سلمان الرضا. واستخدم سلمان جنسيته المزوّرة ليعيش بشكل مريح ويبدو كرجل أعمال في منطقة لاغواخيرا في كولومبيا، الواقعة على البحر الكاريبي، إلى حين انتقاله إلى بوينس آيرس في عام 1989. وعلى مدى أربعة وعشرين عاماً، استفاد سلمان من مزايا الجنسية الكولومبية، وخلال تلك الفترة أُصدرت له ثلاثة جوازات للسفر إلى دول من بينها الأرجنتين وبنما وفنزويلا والبرازيل وباراغواي وبيرو وإيطاليا وفرنسا والولايات المتحدة.

كذلك، يحمل شقيق سلمان، المعروف باسم خوسيه سلمان الرضا، والذي يُشتبه بتورطه في الهجوم على السفارة الإسرائيلية في بوينس آيرس عام 1992، الجنسية الكولومبية التي اكتسبها بشكل غير قانوني. ووفقاً لبعض التقارير تم تزوير وثائق خوسيه، إلا أن قدرته على الحصول عليها مكّنته من تجنب إثارة الشكوك حول أنشطته في المنطقة. ومن الواضح أنه لم يتم الكشف عن الجنسية الكولومبية لعميل "الجهاد الإسلامي" عامر محمد عقيل رادا، على الرغم من زيادة تعرّض أنشطته للانكشاف في أمريكا اللاتينية في السنوات الأخيرة. وعلناً، تمّ تحديد عامر فقط على أنه يحمل الجنسيتين الفنزويلية واللبنانية، ولكنه في الواقع يحمل "بطاقة الجنسية الكولومبية" رقم 84049010.

وكما هو الحال مع عائلة سلمان، يحمل أفراد من عائلة عامر أيضاً الجنسية الكولومبية. فزوجة عامر، فاطمة الحلباوي، تحمل بطاقة الجنسية رقم 56081323، وأحد أبنائه وهو مهدي عقيل الحلباوي يحمل البطاقة رقم 1126038243. ومن غير الواضح ما إذا كانت الجنسية الكولومبية لكل من عامر وفاطمة ومهدي أصلية،

ولكن يبدو أن عامر حاول في السابق الحصول بشكل احتيالي على الجنسية الكولومبية لأحد أبنائه الآخرين وهو حسن عقيل الحلباوي الذي يحمل "التعريف الشخصي الكولومبي" رقم 1124077256.

وخلال صيف عام 2021، أبطل "السجل المدني الوطني" في كولومبيا التسجيل المدني لحسن، بسبب المعلومات الخاطئة التي قدمها عامر كجزء من "تسجيل ولادة حسن في غير أوانها" - وهي عملية رسمية تسمح للمواطنين الكولومبيين بتقديم سجلات الولادة بعد أي وقت من ولادة الطفل. ووفقاً لبعض التقارير وُلد حسن في "حارة حريك" في لبنان في 8 كانون الثاني/يناير 1997، ولكن عامر قدّم معلومات حسن إلى "السجل المدني الوطني" الكولومبي على أنه وُلد بعد عام تقريباً من التاريخ الأساسي، أي في 27 آب/أغسطس 1998. وعند تقديم المستندات، قدّم عامر معلومات خاطئة في قسم "الشهود"، حيث أُدرج اسم كل من أحمد قبلان وكونستنزا أل. فالسنيا؛ وانطوى التباين على إدراجه رقم جنسية فالنسيا - حاملة بطاقة جنسية كولومبية شرعية - الذي يعود في الواقع لإمرأة أخرى.

وفي ربيع عام 2021، كشفت صحيفة كولومبية أن تحقيقاً أجرته السلطات استمر 10 سنوات وجد معلومات واضحة وحاسمة تشير إلى أن أعضاء "حزب الله" يقيمون "بشكل قانوني" في كولومبيا ويحملون جنسية "أصلية". ووفقاً لتقرير نشرته "إل هيرالدو"، كشف التحقيق أنه في مكاتب أمناء سجلات العديد من البلديات، جمعت شبكة من الأفراد أكثر من 8 مليارات دولار لتجهيز وثائق من أجل منح أفراد شهادات الجنسية الكولومبية بشكل احتيالي من خلال خدمة "تسجيل الولادة في غير أوانها". وذكر التقرير أن ما لا يقل عن 70 ألف سجل وطني مزوّر تمّ إعداده وتقديمه إلى مواطنين من فنزويلا وكوبا والصين وليتوانيا وسوريا وإيران ولبنان.

الأعمال التجارية لـ "منظمة الجهاد الإسلامي" التابعة لـ "حزب الله" في كولومبيا

كشفت نتائج التحقيق الكولومبي نفسه أن العديد من الأفراد الذين حصلوا بشكل احتيالي على الجنسية الكولومبية - ومن بينهم أعضاء في "حزب الله" - استخدموا الوثائق لإنشاء شركات. وكشف التحقيق أن أعضاء الحزب في كولومبيا صوّروا أنفسهم على أنهم رجال أعمال وأن جنسيتهم المكتسبة حديثاً منحتهم وشركاتهم حماية غير محددة.

ويتماشى ذلك مع السلوك التاريخي لعملاء "الجهاد الإسلامي" في كولومبيا، الذين استخدموا شركاتهم كغطاء تجاري ومن أجل جمع الأموال للحزب عل حد سواء. على سبيل المثال، بدأ سلمان رؤوف سلمان وشقيقه خوسيه العمل في كولومبيا في ثمانينات القرن الماضي وقدما نفسيهما على أنهما رجلا أعمال. وفي عام 1987، شكّل خوسيه إلى جانب عمه موسى الرضا خلية للحزب كانت تعمل في مايكاو، كولومبيا. وفي حين لا يُعرف الكثير عن موسى، إلّا أن بعض التقارير تفيد أن خوسيه مسؤول عن جمع الأموال وتوزيع الدولارات المزوّرة. وكشفت السلطات الأرجنتينية عن خوسيه في عام 1992 بينما كان يحاول صرف العملات المزوّرة في مصرف في الأرجنتين واعتقلته لاحقاً.

كما شارك عميل "الجهاد الإسلامي" عامر محمد عقيل رادا في أعمال تجارية في كولومبيا. وكشف موقع "إنفوباي" الإلكتروني الأرجنتيني عن اسمه علناً للمرة الأولى في نيسان/أبريل 2018 حيث تمّ التعريف عنه على أنه قائد عمليات في "حزب الله" ينسق بيع صادرات الفحم من كولومبيا إلى لبنان. وزعم التقرير نفسه أن

80 في المائة من عائدات مبيعات الفحم التي ينفذها عامر تُرسل إلى لبنان لتمويل "حزب الله"، حيث تتمّ إعادة استثمار نسبة الـ 20 في المائة المتبقية في عمليات تجارية في كولومبيا وبنما. ولكن في حين تمّ الإفضاح باستمرار عن تورطه في أعمال تجارية مرتبطة بكولومبيا في السنوات الأخيرة، إلا أنه تم الكشف عن القليل من التفاصيل حول نطاق أنشطته التجارية.

تدقيق الأعمال التجارية لعامر عقيل في كولومبيا

يكشف التدقيق في الأنشطة التجارية لعامر محمد عقيل رادا المرتبطة بكولومبيا أنه كان يستورد الفحم إلى لبنان من كولومبيا منذ عام 2016 على الأقل؛ ويشير التحليل الشامل لسجلات الشركة وبيانات الشحن التجاري إلى أن عامر يستخدم أولاده لممارسة أنشطته. يُذكر أن استخدام أفراد العائلة يُعتبر ممارسة راسخة ضمن أسلوب عمل "حزب الله"، لتجنّب اكتشافهم والالتفاف أيضاً على العقوبات.

ووفقاً لبعض التقارير هرب عامر من أمريكا اللاتينية في عام 2014، ويكشف التدقيق في سجلات الشركة أنه أسس شركة الفحم "توكان للتجارة ذ.م.م." ومقرها في لبنان في كانون الثاني/يناير 2015، مما يشير إلى أنه عاد إلى لبنان. ويملك عامر شخصياً 34 في المائة من أسهم "توكان للتجارة"، في حين تملك ابنتيه بتول عامر عقيل وسارة عامر عقيل 33 في المائة لكل منهما.

وفي آذار/مارس 2015، أسس نجل عامر مهدي عقيل الحلباوي، الذي كان آنذاك في أواخر العشرينات من عمره، شركة الفحم "زانغا ذ.م." في كولومبيا. ومما يثير الاهتمام أنه رغم تأسيس الشركتين في أوائل عام 2015، إلاّ أن أياً منهما لم تبدأ العمل قبل منتصف عام 2016. ويكشف تدقيق في سجلات شحن الشركتين أنه منذ منتصف عام 2016، كانت "زانغا ذ.م." المزوّد الأول لشركة "توكان للتجارة ذ.م.م."، مما يشير إلى أن مهدي يلعب دوراً رئيسياً في الأنشطة التجارية لعامر المرتبطة بـ "حزب الله".

وخلال السنوات الست الأخيرة، كانت "توكان للتجارة" الجهة المرسل إليها لما لا يقل عن 25 شحنة من الفحم، حيث استلمت 14 شحنة من شركة "زانغا" والشحنات الإحدى عشرة المتبقية من شركتين أخريين. وخلال الفترة نفسها، شحنت "زانغا" ما لا يقل عن 29 شحنة إضافية من الفحم - أي ما مجموعه 43 شحنة، عند حساب الشحنات إلى "توكان للتجارة" - إلى شركات في جميع أنحاء الشرق الأوسط، من بينها لبنان والكويت والإمارات وإسرائيل.

Figure 1. Colombian Charcoal Shipments to Tucan Trading S.A.R.L., 2016–21

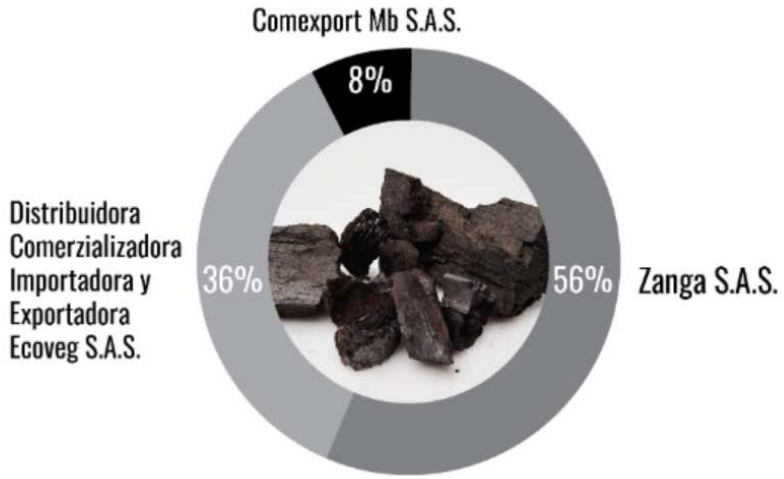

Source: Panjiva shipping records, Tucan Trading S.A.R.L.

Figure 3. Charcoal Shipments from Zanga S.A.S. to Middle East Countries, 2016–21

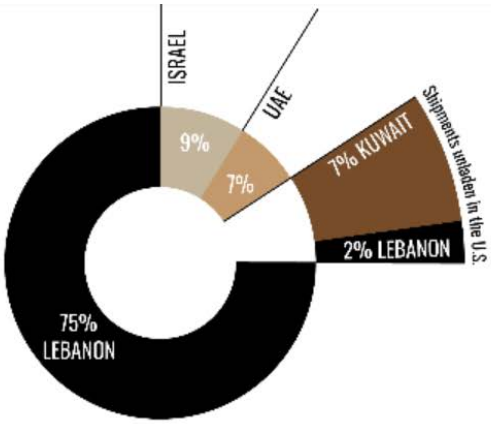

Source: Panjiva shipping records, Zanga S.A.S.

ويكشف التدقيق في سجلات الشحن من "زانغا" أيضاً أنه بين عامي 2018 و2021، تمّ تفريغ أربع شحنات فحم على الأقل - مرسلة إلى "توكان للتجارة" وشركتين أخريين في الشرق الأوسط - في بورت إيفرغلايدز في فورت لودرديل، بولاية فلوريدا الأمريكية. ومن غير الواضح ما إذا كانت الوجهة النهائية لهذه الشحنات هي بالفعل الولايات المتحدة أم أنه تم نقلها في بورت إيفرغلايدز، ولكن إذا كان السيناريو الأخير صحيحاً، فربما يكون قد تمّ التلاعب بالحاويات، مع احتمال إضافة مواد أو إزالتها. ومن شأن أي من السيناريوهين أن يثيرا القلق نظراً إلى روابط "زانغا" الواضحة بعميل في "حركة الجهاد".

وبالإضافة إلى الروابط المباشرة بـ "منظمة الجهاد الإسلامي"، تتطلب الشحنات الأربع إلى الولايات المتحدة تدقيقاً إضافياً نظراً إلى الأنماط المحددة في سجلات الشحن لشركة "زانغا ذ.م." والتي تسلّط الضوء على الشحنات على نحو مثير للشك. وبالتحديد، استخدمت "زانغا" ثلاثة عناوين وحيدة في مستندات الشحن الرسمية الخاصة بها منذ إنشائها. كما استخدمت عنواناً في كارتاخينا، كولومبيا، لكافة شحنات الشركة في عام 2016.

ومنذ مطلع 2017، لم تعد "زانغا" تستخدم هذا العنوان واستبدلته حصراً بعنوان في ميديلين لأنشطتها التجارية. وكانت الاستثناءات الوحيدة لاستخدام عنوان ميديلين هي الشحنات الأربع التي تمّ تفريغها في الولايات المتحدة - ففي هذه الحالات فقط، استخدمت "زانغا" عنوانها المسجل رسمياً في بارانكيا. وقد يدل ذلك على أن مهدي لم يريد لفت انتباه الولايات المتحدة إلى منشأة "زانغا" في ميديلين.

كشف العلاقة بين الإرهاب والجريمة

يكشف تدقيق أعمق في سجلات الشركات الرسمية وبيانات الشحن أن شركة "زانغا ذ.م." وشركة "توكان للتجارة ذ.م.م." تعملان مع شركات مرتبطة بحسن محسن منصور، الذي يحمل الجنسيتين الكندية واللبنانية ويواجه اتهامات في الولايات المتحدة وفرنسا بتبييض الأموال المحققة من تجارة المخدرات. وفي حين أنه غالباً ما يوصف بشريك "حزب الله"، فمن المرجح أن يكون منصور نفسه عضواً في "حركة أمل" بما أنه متزوج من حفيدة رئيس مجلس النواب اللبناني وزعيم "حركة أمل"، نبيه بري. وكان منصور من بين الذين تمّ توقيفهم في فرنسا في كانون الثاني/يناير 2016 في إطار "عملية الأرز" - وهي مسعى متعدد الجنسيات بقيادة فرنسا، و"إدارة مكافحة المخدرات" الأمريكية التي شملت عدة وكالات أمريكية معنية بإنفاذ القانون والتي عملت بالتعاون مع وكالتي "يوروبول" و"يوروجست" والسلطات في فرنسا، وألمانيا، وإيطاليا وبلجيكا. وينص البيان الصحفي الصادر عن "إدارة مكافحة المخدرات" على أن العملية استهدفت الجهاز المالي لـ "منظمة الجهاد الإسلامي" المتورطة بأنشطة إجرامية دولية، مثل الاتجار بالمخدرات وتبييض الأموال من عائدات المخدرات. وفي وقت لاحق، تمّ أيضاً توجيه اتهامات فدرالية مماثلة إلى منصور في الولايات المتحدة خلال عام 2016 تتعلق بتبييض الأموال في إطار "مشروع كاسندرا" التابع لـ "إدارة مكافحة المخدرات" الذي يستهدف شبكة عالمية لـ"حزب الله" مسؤولة عن تهريب الكوكايين إلى الولايات المتحدة وأوروبا.

وفي حين من الضروري إجراء مزيد من التدقيق لمعرفة المدى الحقيقي لارتباط منصور بأنشطة أعمال كل من عامر ومهدي، إلا أن السجلات الرسمية تكشف عن أوجه شبه وتداخل في عملياتهما التجارية بين كولومبيا ولبنان. على سبيل المثال، لدى "توكان للتجارة ذ.م.م" والشركة اللبنانية التي يملكها منصور "زوم زوم موتورز ذ.م.م." المحامي نفسه الموكل علي غانم الزين، اللبناني الجنسية. ورغم أن هذا الخبر بحد ذاته لا يدعو للقلق، إلا أن استلام "زوم زوم موتورز ذ.م.م." لشحنات من الفحم من كولومبيا يُعتبر مدعاة للشك، لا سيما وأن مستندات تسجيل الشركة الرسمية تشير إلى أنها شركة تعمل في مجال التجارة العامة واستيراد/تصدير مركبات السير. كما تكشف سجلات الشحن أنه خلال العامَيْن 2014 و2015، استلمت "زوم زوم موتورز" شحنات من الفحم من شركتين كولومبيتين على الأقل، هما: "سي أي بليكانوس ذ.م." و"ديسيمكول ذ.م.". بالإضافة إلى ذلك، يكشف المزيد من التدقيق في هذه الشركات أن "ديسيمكول ذ.م." و"زانغا ذ.م." تشاركتا العنوان الفعلي في كارتاخينا (قرطاجنة)، كولومبيا.

وفي عام 2015، أخبر منصور عناصر إنفاذ قانون سريين أنه استخدم تجارته كغطاء لشحن الكوكايين على أنه فحم. كما أقرّ بأن لديه شركة تستورد الفحم الخشبي من كولومبيا إلى لبنان، وأن لديه الاتصالات اللازمة في كولومبيا لضمان عدم تفتيش الحاويات. وإلى جانب التعتيم على عملية نقل الكوكايين في شحنات الفحم، تفاخر منصور أمام ضباط إنفاذ القانون السريين حول مهاراته في تبييض الأموال. ووفقاً للسجلات الرسمية

لإحدى المحاكم الفرنسية، ادّعى منصور خلال اجتماع في باريس عام 2015، أنه قادر على إخراج الأموال من أوروبا إلى أي مكان في العالم، بما في ذلك كولومبيا، في غضون يومين فقط.

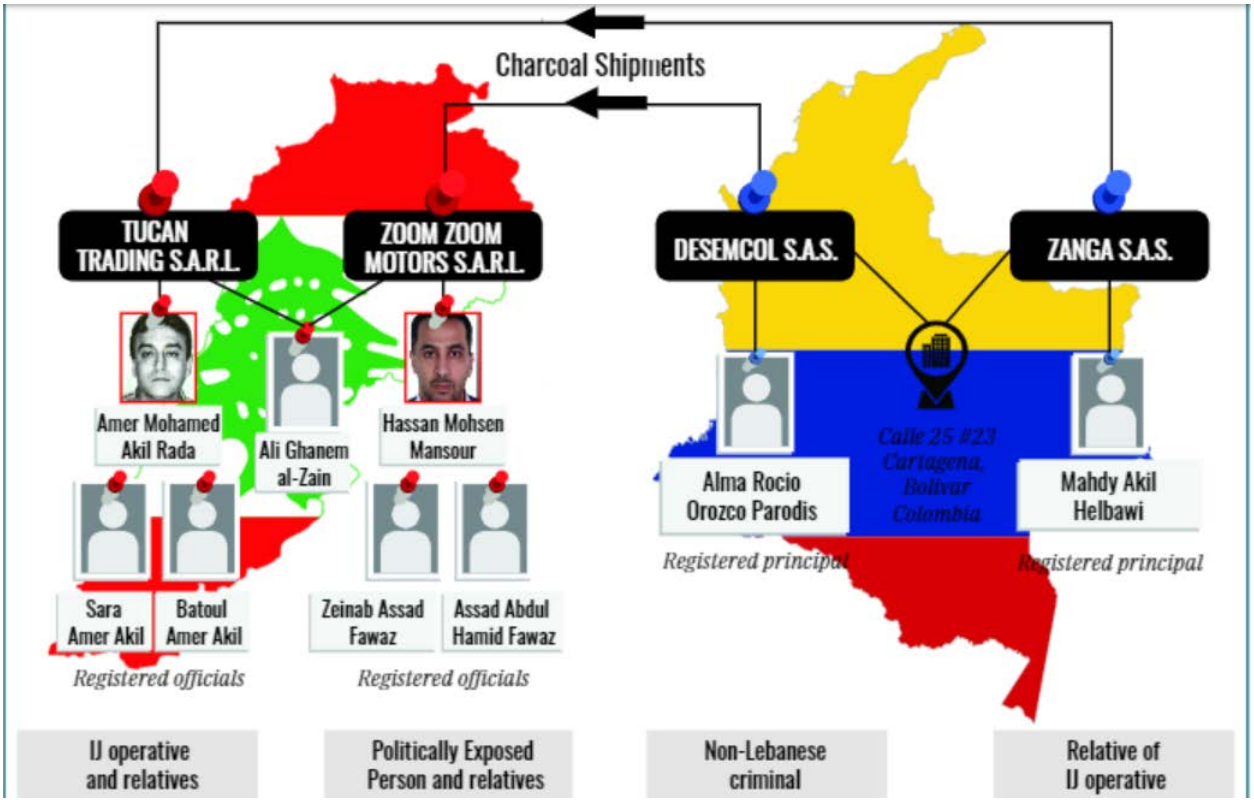

شحنات الفحم كوسيلة تجارية لتهريب المخدرات

جمعت الكارتلات الكولومبية الكوكايين مع الفحم لكي تنجح في الإفلات من الكلاب القادرة على اكتشاف المخدرات والاختبارات الكيميائية منذ عام 1999 على الأقل، عندما برز الوعي العام للمرة الأولى بالكوكايين الأسود - وهي مادة صنعها علماء الكيمياء في كارتل كولومبي والتي تُحوّل هيدروكلوريد الكوكايين إلى "طوب أسود" مموّه ليبدو فحماً من أجل تسهيل تهريب الكوكايين على النطاق الدولي. وتشير التقارير الأخيرة عن عمليات حظر الكوكايين المخبأ في شحنات الفحم التي منشؤها في دول غير كولومبيا إلى أن اعتماد هذه الوسيلة التجارية مستمر وقد انتشر خارج الدولة الذي نشأ فيها. علاوةً على ذلك، وفي حين تم تطوير هذه التقنية في البداية لتهريب الكوكايين الكولومبي، فقد توسعت على مر السنين وأصبحت تُستخدم الآن لتهريب مجموعة متنوعة من المخدرات. وهناك حالات مؤكدة في السنوات الأخيرة لشحنات الفحم المستخدمة لتهريب الماريجوانا والميثامفيتامين والكبتاغون.

التدقيق بانخراط أقرباء عامر عقيل في تجارة المخدرات

خلص التحقيق الكولومبي المذكور أعلاه حول الاستحواذ الاحتيالي على الجنسية الكولومبية إلى أن عناصر تابعين لـ"حزب الله" في كولومبيا لم يكتفوا بتصوير أنفسهم على أنهم رجال أعمال، بل اكتسبوا ايضاً سمات الجماعات الإجرامية المحلية. وتُعتبر العمليات التجارية لعامر محمد عقيل رادا وأقاربه في أمريكا اللاتينية خير دليل على هذا السلوك، وتبرّر إجراء المزيد من التدقيق.

وفي صيف عام 2013، كان شقيق عامر ويدعى سامر محمد عقيل رادا - الذي يحمل بطاقة تعريف وطنية كولومبية تحمل الرقم 179029472 وعُرّف على أنه عضو في "حزب الله" مسؤول عن الشؤون اللوجستية - متورطاً في تهريب ما يقرب من 500 كيلوغرام من الكوكايين مخبأة في صناديق من الأناناس. وتمكّنت عناصر مكافحة المخدرات التي استخدمت الكلاب لاكتشاف الكوكايين، الذي وفقاً لبعض التقارير بلغت قيمته حوالي 15 مليون دولار، من اعتراض المركبة المنخرطة في السلفادور. وفي حين كانت المركبة تحمل لوحات ترخيص كوستاريكية، إلا أنه قيل إنها وصلت إلى السلفادور من بنما وكانت متجهة إلى منطقة "كوروزال للتجارة الحرة" في بليز وتحديداً إلى شركات مسجلة باسم سامر. ويُعتقد أن سامر هرب من بليز على الأرجح عند سماعه خبر مصادرة المركبة في السلفادور، حيث أفادت بعض التقارير أنه لم يزر البلاد منذ ذلك اليوم في تموز/يوليو 2013.

ووفقاً لحساب سامر على موقع "لينكد إن"، فقد بدأ العمل في تجارة الفحم في كولومبيا بعد فترة قصيرة من هروبه من بليز. وابتداءً من عام 2014، كان يشغل منصب مدير المشتريات في شركة "توكان كاربون" الكولومبية، وبقي في منصبه حتى عام 2016 - وهو العام نفسه الذي بدأ فيه عامر ومهدي أنشطتهما في مجال الفحم. لكن سجلات شركة "توكان كربون" وبيانات عمليات الشحن التي قامت بها غير متوافرة على ما يبدو، وقد لا تكون موجودة أساساً، لذلك من الصعب تقييم أنشطة سامر المتعلقة بالفحم. ومن المحتمل أن يكون سامر قد سعى إلى اعتماد وسيلة جديدة لتهريب المخدرات بحيث لا يمكن للكلاب اكتشافها، ولا سيما بعد مصادرة الكوكايين في السلفادور. لكن نظراً إلى توقيت ما جرى ودوره كعضو منخرط في الشؤون اللوجستية، قد يكون سامر هو من مهد الطريق أمام الأنشطة التي يمارسها عامر ومهدي في مجال الفحم في كولومبيا.

ضرورة إجراء تدقيق أعمق بشحنات الفحم المرتبطة بـ "الجهاد الإسلامي"

من الصعب معرفة طبيعة أعمال سامر ومهدي في تجارة الفحم بشكل دقيق، دون الحصول على معلومات معقمة أو حظر شحنات الفحم من شركة "زانغا ذ.م." أو شحنات الفحم الكولومبي الأخرى المخصصة لشركة "توكان للتجارة ذ.م.م". ففي حين أن عامر ومهدي - على غرار منصور - ربما استغلا شركاتهما العاملة في مجال الفحم لتهريب الكوكايين بطريقة غير قانونية كوسيلة لتحقيق الإيرادات، إلا أنه لا ينبغي أن يكون ذلك هو الاستنتاج التلقائي. فنظراً إلى الطبيعة السرية لـ "منظمة الجهاد الإسلامي"، لا يمكن استبعاد النظرية بأن عامر وأفراد عائلته المتواطئين، على غرار مهدي، قد استخدموا هذه الوسيلة في تهريب المخدرات لتغطية شحنات المواد الأكثر خطورة، مثل المتفجرات أو السلائف المتفجرة. وقد سبق لـ "حزب الله" أن استخدم تقنيات

وشبكات تهريب المخدرات لتهريب المتفجرات - وتُعتبر المحاولة الفاشلة لتهريب أكثر من 20 كيلوغراماً من مادة "سي فور" من لبنان إلى إسرائيل بمساعدة أحد أشهر تجار المخدرات اللبنانيين مثالاً رئيسياً على ذلك. وفي هذه الحالة، من الواضح أن المهربين أنفسهم لم يكونوا على علم بأنهم كانوا يهرّبون المتفجرات بدلاً من المخدرات. علاوة على ذلك، بالنظر إلى الأزمة الاقتصادية المستمرة والعميقة التي تعصف بلبنان، لا يمكن أيضاً استبعاد احتمال أن يكون "حزب الله" قد استغل تجارة الفحم لتهريب العملة الأمريكية إلى لبنان.

ويمكن لرائحة الفحم أن تطغى على رائحة المخدرات، مما يجعل من الممكن أيضاً قيام المهربين باستخدام هذه الوسيلة التجارية لتمرير سلع أخرى يسهل على الكلاب المدربة اكتشافها، مثل الأموال أو المتفجرات. وفي المقابل، فإن التقدم المحقق والتطبيق على صعيد تقنيات جديدة مضاعفة للقوة، القادرة على تقفي أثر المتفجرات ورصد العملات المهربة، يعززان احتمال إقدام الجهات الفاعلة غير الشرعية، بما فيها عملاء "حزب الله" في "الجهاد الإسلامي"، على استخدام تجارة الفحم لهذه الأغراض. ومع ذلك، لم يتمّ رصد حالات مماثلة علناً.

الفرص المتاحة

بينما لم يتضح بعد ما إذا كانت الأنشطة التي يقوم بها عامر محمد عقيل رادا وابنه مهدي عقيل الحلباوي في مجال تجارة الفحم الكولومبي هي لأغراض مالية أو عملياتية، إلا أن التدقيق في أنشطتهما التجارية يكشف عن ثغرات استراتيجية قد تسمح لعدة دول بفتح تحقيقات وربما عرقلة مبادرات "حزب الله" في أمريكا اللاتينية. وإذا اتخذت كل دولة تتأثر بأنشطة عامر ومهدي في كولومبيا إجراءات مدروسة ومتأنية، فبإمكان المجتمع الدولي تحقيق العديد من النتائج المهمة التي من شأنها تعطيل وتفكيك أجزاء من البنية التحتية العملياتية والمالية للجماعة الإرهابية.

تحقيقات وإجراءات إنفاذ القانون

قد تؤدي إجراءات إنفاذ القانون إلى إضعاف "حزب الله" وتعزيز الأمن القومي للعديد من البلدان.

كشف وتعطيل عمل "منظمة الجهاد الإسلامي" في كولومبيا. أمام الولايات المتحدة وإسرائيل فرصة للتعاون مع السلطات الكولومبية لإجراء تدقيق أعمق بأنشطة مهدي وشركة "زانغا ذ.م."، ولا سيما تلك المرتبطة بشركة "توكان للتجارة ذ.م.م.". ويمكن للتحقيقات في العناوين والموظفين المرتبطين بشركة "زانغا"، بالإضافة إلى أنماط سفر مهدي، توفير مرئيات مهمة إلى عمليات "منظمة الجهاد الإسلامي" في كولومبيا والمنطقة. كما يمكن لإجراءات إنفاذ القانون اللاحقة التي تتخذها السلطات الكولومبية الكشف علناً عن الأفراد والكيانات المتورطين في البلاد، وتسليط الضوء على عمليات "حزب الله" في النصف الغربي من الكرة الأرضية، وربما إضعاف قدرة الجماعة الإرهابية على شن عمليات مميتة في كولومبيا. ويجب أن يشكّل ذلك أولوية قصوى في ضوء ما تم الكشف عنه مؤخراً عن عمليات نفذها "حزب الله" استهدفت أمريكيين وإسرائيليين في البلاد.

الكشف عن تفاصيل تجارة الفحم التي تقوم بها "منظمة الجهاد الإسلامي" وعرقلة شبكة الجهات المتلقية. كما ذكرنا سابقاً، ونظراً للطبيعة السرية لهذه الحركة، لا يمكن استبعاد نظرية قيام العملاء في كولومبيا باستخدام

تقنية تهريب المخدرات للتغطية على شحنات المواد الأكثر خطورة. ويجب أن تشكل عملية تفريغ حاويات من شركة "زانغا" في فلوريدا مصدر قلق كبير للولايات المتحدة. وبالمثل، يجب أن تكون إسرائيل قلقة بشكل خاص من واقع استيراد شحنات ترتبط بـ "الجهاد الإسلامي" إلى ميناء أشدود. ومن شأن التحقيق في هذه الشحنات والجهات المتلقية لها، وعرقلة أي شحنات مستقبلية، أن يتيحا لعناصر إنفاذ القانون الكشف عما يحتمل أن تهربه "منظمة الجهاد الإسلامي" إلى الولايات المتحدة وإسرائيل، وقد يؤدي إلى اكتشاف عملاء "حزب الله" المتواجدين على الأراضي الأمريكية وداخل إسرائيل.

العقوبات

توفر العقوبات مجالاً آخر لتقويض أنشطة "حزب الله" في أمريكا اللاتينية، وقد يؤدي ذلك إلى عرقلة شبه وشيكة.

إضعاف الأنشطة التجارية لـ"حزب الله". يمكن للعقوبات الأمريكية ضد شركة "زانغا ذ.م." و"توكان للتجارة ذ.م.م."، وكذلك ضد عامر محمد عقيل رادا وأبنائه المتواطئين معه، أن توقف بشكل فعال - على الأقل مؤقتاً - الأنشطة التي يمارسها "حزب الله" من خلال هذه الشركات، سواء كانت لأغراض عملياتية أو مالية. وبصفتها شركة تعمل على المستوى الدولي، من المرجح أن تقوم "زانغا" بإنجاز أعمالها التجارية بالدولار الأمريكي، مما يجعلها تعتمد إلى حدّ كبير على القطاع المالي الأمريكي وتكون معرّضة بالتالي للعقوبات الأمريكية. بالإضافة إلى ذلك، سيؤدي الكشف عن أسماء كل شركة وفرد، فضلاً عن روابطهم بـ "حزب الله"، إلى التأثير على قدرتهم على العمل والتنقل بحرية في العديد من البلدان، ولا سيما كولومبيا. وسيترتب عن ذلك تكاليف أكبر على عمليات "حزب الله" في أمريكا اللاتينية، مما يعقد على الأقل بعض أنشطة الحزب في المنطقة.

تسليط الضوء على عمليات "حزب الله" في نصف الكرة الغربي. بينما من المرجح أن تكون العقوبات الأمريكية هي الأكثر فعالية ضد شبكة عامر، إلّا أنه لا يجب أن تكون الولايات المتحدة الدولة الوحيدة التي تفرضها. فبعد إثباط كولومبيا مؤخراً لمخطط اغتيال وضعه "حزب الله" يستهدف أمريكيين وإسرائيليين في البلاد، فإن الكشف عن هوية عملاء في "منظمة الجهاد الإسلامي" التابعة لـ "حزب الله" والشركات المرتبطة بهم، سيسلط الضوء على أنشطة الجماعة الإرهابية في البلاد والنصف الغربي من الكرة الأرضية، ويبعث برسالة قوية إلى الحزب.

الكشف عن أنشطة "حزب الله" بين أمريكا اللاتينية والخليج وعرقلتها. نظراً إلى تقاطع الأعمال بين "زانغا" والكويت والإمارات، يتعيّن على هاتين الدولتين حظر التعامل مع الشركة إلى جانب عامر ونجله مهدي عقيل الحلباوي وقطع الروابط التي تجمعهم بالخليج. كما يتعين على الكويت والإمارات إدراج أولئك الأفراد والكيانات نفسهم في إجراءات "مركز استهداف تمويل الإرهاب" ("المركز") - وهو جهد مشترك بين الولايات المتحدة ودول "مجلس التعاون الخليجي" لتوسيع وتعزيز التعاون بين الدول الأعضاء السبع من أجل التصدي لعمليات تمويل الإرهاب. وعلى وجه التحديد، يسهّل "المركز" اتخاذ الإجراءات المعرقلة المنسقة، وتبادل معلومات الاستخبارات المالية، وبناء قدرات الدول الأعضاء على استهداف شبكات تمويل الإرهاب والأنشطة ذات الصلة التي تشكل تهديدات للأمن القومي للدول الأعضاء في المركز.

الدبلوماسية

قد يكون الضغط الدبلوماسي الأمريكي على لبنان على وجه التحديد مثمراً وقد يؤدي إلى الكشف عن معلومات معمقة جديدة.

إحضار المجرمين من أصحاب العلاقات السياسية والمرتبطين بـ"حزب الله" أمام العدالة. إن تعامل "زانغا ذ.م." و"توكان للتجارة ذ.م.م." مع المواطن الكندي-اللبناني حسن محسن منصور، يتيح للولايات المتحدة ممارسة الضغوط الدبلوماسية على رئيس مجلس النواب اللبناني. وبينما وُضع منصور قيد الإقامة الجبرية في منزله في فرنسا عام 2016، إلا أنه لم يعد محتجزاً في فرنسا. ووفقاً لإحدى الروايات، أطلقت فرنسا سراحه، في حين تقول أخرى إن منصور هرب من البلاد ويُفترض إلى لبنان لتجنب دخوله السجن مع انتظار محاكمته. ومع ذلك، لا يزال منصور مجرماً مداناً في الولايات المتحدة، وعلى المسؤولين الأمريكيين الاستفادة من علاقته بالأسرة المؤثرة لرئيس مجلس النواب اللبناني نبيه بري في البلاد لتقديمه إلى العدالة، وكذلك احتمال الحصول على مزيد من المعلومات بشأن عامر و"توكان للتجارة".

الخاتمة

مارس "حزب الله" أنشطة تجارية في أمريكا اللاتينية منذ نشأته تقريباً. ويكشف التدقيق في أسلوب العمل التاريخي لـ "منظمة الجهاد الإسلامي" في المنطقة أن أنشطة أعمال العملاء واستحواذهم الاحتيالي على الجنسية الكولومبية قد مكّنهم من الاختباء في أماكن واضحة للعيان، تحت ستار رجال الأعمال. وفي حين أنه من المعروف جيداً أن "حزب الله" يجني إيرادات من البنية التحتية العالمية لأعماله، فيمكن بسهولة اعتبار استخدام الشركات من قبل "حركة الجهاد" على نحو خاطئ كجزء من المشاريع التجارية المدرّة للإيرادات التابعة لـ "حزب الله". وبالتالي، لا يمكن الافتراض أنه تمّ تأسيس كافة الأنشطة التجارية للحزب أو تشغيلها بهدف تحقيق الإيرادات.

وتشير مؤامرة "حزب الله" عام 2021 لاغتيال أهداف أمريكية وإسرائيلية في كولومبيا إلى أن الجماعة الإرهابية كانت، وربما لا تزال، تسعى إلى تنفيذ عملية فتاكة في النصف الغربي من الكرة الأرضية. ورغم أنه من غير الواضح ما إذا كانت شبكة عامر محمد عقيل رادا متورطة في مؤامرة الاغتيال الأخيرة، إلا أن وضعه كعميل في "حركة الجهاد" وروابطه في كولومبيا، ولا سيما عبر نجله مهدي عقيل الحلباوي، يجب أن يشكّل مصدر قلق بالغ لحكومات كافة البلدان التي تمر عملياته من خلالها. ولذلك، من الضروري إجراء المزيد من التدقيق والتحليل الشامل لأنشطتهما التجارية من أجل تحديد معالم بعض عمليات "حزب الله" على الأقل في أمريكا اللاتينية بشكل صحيح، وربما الكشف عن معلومات رئيسية للمساعدة في تحديد النوايا العملياتية للجماعة الإرهابية.

ويمكن أن يؤدي استخدام الغطاء التجاري من قبل "منظمة الجهاد الإسلامي" إلى التشويش بسهولة على خططها ونواياها العملياتية كما يمكن لانخراط العملاء في الأنشطة المالية، والاستفادة من الأفراد غير التابعين لـ "حزب الله"، واستخدام الأعمال التجارية الإجرامية أن يزيد من تعتيم الصورة بشكل أكبر - مما يُحتمل أن يؤدي إلى تضليل فادح ويسفر عن عواقب مميتة. ولكن إذا حددت الولايات المتحدة والمجتمع الدولي أنماطاً تتفق مع طريقة عمل "منظمة الجهاد الإسلامي" واتخذا خطوات مدروسة للاستفادة استراتيجياً من نقاط الضعف التي تشوب البنية التحتية التجارية للجماعة الإرهابية، فبإمكانهما تحديد شبكات "حزب الله" وتعطيلها وإضعافها - من الناحية المالية والعملياتية على حد سواء - وربما إنقاذ حياة أبرياء.